Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤ ـ وقد سألتك، وإن كنت أعلم أنك لا تحسن من هذا قليلاً ولا كثيراً! فإن أردتَ أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها، وما فيها خرافة وما فيها محال، وما فيها صحيح وما فيها فاسد، فألزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي، وابتدىء بنفي التشبيه[١] والقول بالبداء[٢]، واستبدل بالرفض الاعتزال، وأن أُنْكِر نفعُك بعد التمكين والبذل، وبعد التقريع والشحذ، فلا يُبعد اللَّهُ إلا من ظلم!.

ومن أجل توضيح حكمنا هذا يمكن أن نورد عدداً من الأمثلة المصاغة بنفس المبدأ: «أيتها السماء، كيف تحسين مساء؟ ويا قوة المادة الأزلية، كيف صحتك صباحاً؟ ويا طير لقمان كيف تقضي نهارك؟.. حدثني كيف شهدت الطوفان. «٦٣ ـ ٩٧، ٩٨».

وهكذا تنتهي المرحلة المخصصة للسخرية من شيخوخة بطل الهجاء غير الفاضلة، هذا البطل الذي يحاول تصوير نفسه «شاباً» من المقطع الطويل الذي يعالج مختلف المسائل ـ منشأ أهرام مصر وقصور تدمر، طير المغرب الأسطوري (العنقاء) المخلوقة من «غير أب وأم»، الإسكندر المقدوني وعلاقاته مع سليمان و.. الخ، من هذا المقطع نصل إلى استنتاج حول أن على «البطل» الذي يسخر منه المؤلف أن يعرف الإجابة على كل هذه الأسئلة، إذ إنه كان شاهد عيان لكل هذه

(١) أصحاب التشبيه هم المشبهة أو المجسمة الذين يثبتون لله صفات كصفات الإنسان (مذهب بعض غلاة الشيعة وغيرهم) وكان الجاحظ ينفيها، على مذهب المعتزلة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٢).

(٢) القول بالبداء: من أقوال بعض الكيسانية من فرق الشيعة. ومعناه أن يبدو لله في العلم والإرادة والأمر خلاف ما علم وأراد وأمر، فيرجع عنه (أنظر أقوالهم فيه وفي النسخ في: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣٢ ما بعدها).